الدرس الأول

I. –نشأة اقتصاديات التربية:

تعود بدايات هذا الفرع أو العلم إلى كتابات آدم سميث Adam Smith في مؤلفه الشهير ثروة الأمم The Wealth Nations الذي نشر سنة ١٧٧٦م، حيث بين أهمية التعليم ورأى أن التعليم هو المجال الذي يمكن أن يمنع الفساد بين العمال بل أنه سيكون عنصر فعال في استقرار المجتمع اقتصاديا وسياسيا، واتفق معه في ذلك مالتوس Malthus صاحب نظرية السكان المشهورة، وقد اعتبر التعليم عامل من عوامل تحديد النسل، كما اعتبر سميث التعليم من عناصر رأس المال الثابت Fixed Capital مثل المباني والآلات والمعدات.

ويعد الاقتصادي الكبير الفرد مارشال A.Marshal من أوائل الاقتصاديين الذين أشاروا إلى القيمة الاقتصادية للتعليم حيث أكد على "أن أكثر أنواع الاستثمارات الرأسمالية قيمة ما يستثمر في البشر". كما أن وليم بيتي W.Peety حاول قياس رأس المال البشري وطالب الاقتصاديين من بعده بتخصيص رؤوس أموال كبيرة للتعليم، وأكد كارل ماركس C.Marx على علاقة التعليم بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أكد على أهمية التعليم والتدريب في زيادة وترقية مهارات العمل.

إلا أن البداية الحقيقية أو ولادة حقل اقتصاديات التعليم كانت عقب الحرب العالمية الثانية وبالتحديد في نهاية الخمسينات وأوائل الستينات من القرن العشرين على يد روبرت سولو ١٩٥٧ R.Solow وثيودور شولتز ١٩٦٠ T.W.Schultz وجاري بيكر 1962 G.S.Becker، ودينيسون ١٩٦٢Dension.[E] وهاربيسون ١٩٦٤ Haribson وغيرهم.

وتعد الفترة من ١٩٧٠-١٩٦٠ المرحلة التي تبلور فيها هذا الحقل وتطورت فيها الدراسات والأبحاث التطبيقية، وهناك من يسميها فترة أو مرحلة الحماس، وقد برز أيضا في هذا المجال عبد الله عبد الدايم وحامد عمار في الوطن العربي، أما في العقود الثلاثة التالية فقد برز بعض من الاقتصاديين والتربويين مثل جورج ساكاروبولس G.Psacahropouls وتيلاك Tilak وغيرهم في الدول المتقدمة ومحمد غنيمة في الوطن العربي.

II-مفهوم علم اقتصاديات التربية Economics of Education:

يعتبر من التخصصات أو الفروع الحديثة والتي تهتم بالأنشطة التعليمية من الناحية الاقتصادية والتي شاعت بعد الحرب العالمية الثانية والتي أثرت في كل من الفكر الاقتصادي والتربوي تأثيرا واضحا في كثير من الدول.

ويعرف علم اقتصاديات التربية:

"علم يبحث أمثل الطرق لاستخدام الموارد التعليمية ماليا وبشريا وتكنولوجيا وزمنيا من أجل تكوين البشر بالتعليم والتدريب عقلا وعلما ومهارة وخلقا وذوقا ووجدانا وصحة وعلاقة في المجتمعات التي يعيشون فيها حاضرا أو مستقبلا ومن أجل أحسن توزيع ممكن لهذا التكوين".

وقد عرف كوهن Cohn اقتصاديات التعليم "بأنه دراسة كيفية اختيار المجتمع وأفراده استخدام الموارد الإنتاجية Productive resources لإنتاج مختلف أنواع التدريب وتنمية الشخصية من خلال المعرفة والمهارات وغيرها اعتمادا على التعليم الشكلي خلال فترة زمنية محددة وكيفية توزيعها بين الأفراد والمجموعات في الحاضر والمستقبل". أي أن اقتصاديات التعليم تهتم بالعمليات التي يتم بها إنتاج التعليم وتوزيعه بين الأفراد والمجموعات المتنافسة، وتحديد حجم الإنفاق على التعليم سواء

من الأفراد أو المجتمع، وعلى طرق اختيار أنواع التعليم، وناتجها وكفايتها الكمية والنوعية (الكيفية).

يبدو أن الحديث عن اقتصاديات التعليم في مجال التربية بدا مرتبطا بالتخطيط التربوي خاصة مع ظهور العصر الثاني للتخطيط كما يسميه "سليفان لوريه"، ذلك العصر الذي أتاح التأكيد على أن التربية، بوصفها استثمارا، ينبغي لها أن تعطي البرهان على مردودها وعائدها.

ولأهمية العنصر البشري في التنمية بصفة عامة اهتم رجال الاقتصاد بدراسة القيمة الاقتصادية للتعليم، وتعد محاولة (استروملين) من أسبق المحاولات في هذا المجال حيث قام بدراسة القيمة الاقتصادية للتعليم عام ١٩٢٤م.

وأصبح مجال التعليم من مجالات الدراسة والاعتبار في تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وارتبط التعليم بعمليات التخطيط القومي باعتباره سببا ونتيجة في نفس الوقت لعمليات التنمية.

يعتبر مارشال أول من أشار بصورة مباشرة إلى اعتبار التعليم نوعا من الاستثمار، وأكد ضرورة اهتمام رجال الاقتصاد بدور التعليم في التنمية الاقتصادية، وأشار أيضا إلى أن ما ينفق على التعليم ينبغي ألا يقاس بالعائد المباشر فيه، فهناك فائدة عظيمة تأتي من إعطاء أفراد الشعب فرصا متزايدة من التعليم حتى تتكشف مواهبهم وقدراتهم، وربما يغطي اكتشاف نابعة في ميدان الصناعة –مثلا– تكاليف إنشاء مدينة بأسرها.

ونظرا لما تبين من علاقة حميمة بين الاقتصاد والتعليم بدا الاهتمام واضحا وجليا باقتصاديات التعليم منذ الستينيات في القرن العشرين في كتابات (تيودر

شولتز)، وإن كانت هناك إشارات متفرقة من قبل ذلك بكثير فيما ورد في كتابات علماء المسلمين مثل (ابن خلدون) وغيره خاصة في كتاباته حول العمران البشري.

ومع بداية الستينيات كان أول ظهور منظم لنظرية رأس المال البشري في أعقاب بيان العلاقة بين التعليم والنمو الاقتصادي إذ عرض (شولتز) هذه النظرية في كتابه (القيمة الاقتصادية للتعليم) عام ١٩٦٣م.

والفكرة الأساسية لهذه النظرية هي افتراض أن التعليم ضروري لتحسين القدرة الإنتاجية، وقد أسهم عدد من العلماء مثل دنيسون، بيكر، هاربيسون، مايرز، جورج بسكاربولس في تعزيز فكرة القيمة الاقتصادية للتعليم، حيث يرى هؤلاء وغيرهم من المتخصصين في ميدان اقتصاديات التعليم أن الشعب المتعلم هو شعب أكثر إنتاجية. وكلما زاد استثمار بلد ما للتعليم كان اقتحام هذا البلد لأسباب التنمية الاقتصادية المرغوبة أسهل وأيسر.

III-العلاقة بين الاقتصاد والتعليم:

شاع استخدام مصطلح اقتصاديات التعليم وارتبط به العديد من الدراسات والبحوث حول القيمة الاقتصادية للتعليم أو العائد الاقتصادي منه أو العائد المادي المتوقع من التعليم...إلخ، إلى الحد الذي قال فيه البعض (بعلم اقتصاديات التعليم).

واقتصاديات التعليم Economics of Education تنظر إلى التعليم من منظور اقتصادي من خلال أطر عديدة مثل دراسة اقتصاديات الموارد البشرية، والتعليم في ضوء أهداف الاقتصاد، وتحليل العائد المادي من التعليم في ضوء التكلفة، والنتاجية التعليمية، وقياس المخرجات في ضوء المدخلات...إلخ.

وحول العلاقة بين الاقتصاد والتعليم، كتب الكثير، وأجريت بحوث ودراسات عديدة –يصعب حصرها في هذا المقام– انتهت معظمها إن، لم تكن كلها، إلى أن العلاقة بين الاقتصاد والتعليم علاقة حميمة. ومن ثم هناك علاقة وطيدة بين التنمية الاقتصادية والتنمية التربوية. فالتعليم في الدول ذات النمو الاقتصادي المرتفع يحظى بمؤشرات عالية في الجودة والفعالية والكفاية، والعكس صحيح.

وبالرغم من هذا يمكن القول إن النمو الاقتصادي شرط لازم وضروري وليس كافيا لجودة التربية والتعليم، حيث إن الاستخدام الأمثل للموارد المادية المتاحة يظل أحد المتغيرات الهامة والحاكمة في الحكم على جودة المنتج التعليمي.

وتدور المعالجة في مجال اقتصاديات التعليم عادة حول محورين رئيسيين:

الأول: العلاقة بين الإنفاق التعليمي والعائد المستهلك أو المأمول أو المتوقع.

الثاني: حول حجم الإنفاق وفعاليته وكفايته من حيث الوفاء باحتياجات مستقبل التعليم.

وتطرح دراسة اقتصاديات التعليم –من خلال هذين المحورين– قضايا وعوامل متشابكة مع المكونات الداخلة في توليفة النظام التعليمي ذاته، كما تتقاطع مع كثير من مكونات المنظومات المجتمعية الأخرى، سياسية واقتصادية واجتماعية.

وفي مقابل الفوائد الاقتصادية للتعليم (التي تهتم بها اقتصاديات التعليم) هناك المردود الاجتماعي (العائد الاجتماعي) Social Benfit الذي يصعب حسابه بالأرقام، كما أن فوائده عديدة، وهذا ما دعا كينيث Kenneth للتساؤل: هل يمكن مقارنة الفوائد دائما بالمال على الإطلاق؟